بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس التنفيذي

ملف إحياء تراث علماء الشيعة

جمعية الإمام الصادق(ع)
لإحياء التراث العلمائي

التراث

السنة الرابعة - العدد التاسع والثلاثون - آذار ٢٠١٥/ جمادى الأولى ١٤٣٦هـ

نشرة شهرية متخصصة
تعنى باحياء تراث علماء الشيعة

مناسبات الشهر

(بطاقة عالم)

العلامة الشيخ حسن شرارة قدس سره من علماء القرن الثالث عشر هـ.

درس في النجف الأشرف على شيخ الطائفة الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء، والشيخ حسن من طبقة علماء تلك المرحلة الذين درسوا على الشيخ جعفر وعلى السيد مهدي بحر العلوم الذي اكتمل الفقه الشيعي في زمانهم.

والده العلامة الشيخ محمد حسين شرارة كان يسكن في النجف الأشرف ومن فضلاء الحوزة العلمية، وأعقب مضافاً للشيخ حسن، الشيخ محمد أمين والشيخ محسن الذي كان من أهل الفضل.

آل شرارة من العائلات العلمية والأدبية والتي لها أيادي بيضاء في الحياة العلمية لجبل عامل والنجف الأشرف، وبرز في هذه العائلة العديد من العلماء الأجلاء كالشيخ موسى أمين شرارة صاحب مدرسة بنت جبيل الشهيرة والذي توفي سنة ١٣٠٤هـ، ونجله العلامة الشيخ عبد الكريم وحفيده الشيخ موسى الذي كان مفتياً في الهرمل.

كان الشيخ حسن في عصر النكبة التي أصابت جبل عامل وكانت سبباً في هجرة كثير من العلماء من جبل عامل إلى العراق لاستكمال التحصيل العلمي.

توفي الشيخ حسن شرارة في النجف الأشرف ليلة الخميس في الثامن من جمادي الأولى سنة ١٢٧١هـ.

الشيخ يوسف الفقيه

لاستفساراتكم واقتراحاتكم يرجى التواصل على العنوان التالي:
toorath@hotmail.com
70 - 61 68 08

تصميم وطباعة شركة DEBOUK 00961 3 336218

شخصية العدد

العلامة الشيخ يوسف بن الحجة الشيخ علي الفقيه العاملي من علماء القرن الرابع عشر هـ

ولد في قرية (حاريص) من جبل عامل سنة ١٩٤٥م.

كان عالماً فاضلاً ذكياً ألمعياً مشاركاً في الحياة العلمية في النجف الأشرف، وأحد أساتذتها، شهد بمكانته العلمية أهل الفضل وفي مقدمتهم الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر.

كان الشيخ يوسف واحداً من النخبة العاملية في النجف المشهود لها بالعلم والزهد والتقوى من قبل أساطين الحوزة.

ذكّرتني شخصيته بذلك العالم الفاضل الشيخ موسى أمين شرارة الذي توفي وهو إبن سبع وثلاثون سنة، وكان أستاذ البحث الخارج في النجف الأشرف، وبرحيله سنة ١٣٠٤هـ خسرت الحوزة العلمية وجبل عامل شخصية إستثنائية، على صعيد العلم والأدب والإصلاح. كذلك الشيخ يوسف الفقيه الذي توفي في هذا السن، كان يتمتّع بمواصفات إستثنائية على الصعيد العلمي والذكاء والإنفتاح، فكان من المحصّلين والمتتبِّعين، مضافاً للطيبة وحبّ الآخرين وتحمّل المسؤولية، فلو قدّر له البقاء لحَجَزَ مكانة متقدمة بالعلم والفكر والجهاد، ولم يكن هذا من باب التمنّي، بقدر ما هي حقيقة يعرفها القاصي والداني وشهد له بها كل من عرفه، وسنذكر بعض التفاصيل في معرض حديثنا عنه في النجف الأشرف.

أصل عائلة (الفقيه) تعود إلى عائلة (العوادل)، فخذٌ من أفخاد قبيلة شمّر.

لهذه العائلة انتشار واسع وتحدّثنا عنها عندما استعرضنا الحديث عن جده المقدّس الشيخ يوسف الفقيه الحاريصي.

أمّا والده فهو العلامة الشيخ علي الفقيه الذي ولد في حاريص سنة ١٣٢٦هـ، وتوفي سنة ١٤١٠هـ الموافق

لـ٧ أيلول من سنة ١٩٨٩م ودفن في النجف الأشرف، وذكرنا في حديثنا عنه أنه اضطروا لنقل جثمانه الطاهر بعد سنوات وإذا به كما هو لم يتغيّر.

كان الشيخ علي عالماً فاضلاً درس في النجف على أساطين الحوزة العلمية كالشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء والسيد أبو الحسن الأصفهاني، والسيد حسين الحمامي، وبقي في النجف مكبّاً على التحصيل ٢٢ سنة من سنة ١٣٤٤هـ إلى سنة ١٣٦٦هـ، وعمل بالتبليغ الديني في لبنان، وكان مصلحاً حاملاً معه إجازات بالإجتهاد من أساتذته، وذكرنا تفصيل ذلك في حديثنا عنه.

أمّا جده فهو الشيخ يوسف الفقيه، والد الشيخ علي والأستاذ الشيخ محمد تقي، وكان عالماً كبيراً ولد في حاريص سنة ١٢٩٧هـ وتوفي سنة ١٣٧٧هـ، كان أحد الفقهاء وحائزاً على شهادات بالإجتهاد المطلق من أساتذته في النجف الأشرف كالمحقّق الخراساني صاحب الكفاية، والشيخ علي رفيش وغيرهما.

وممّا قاله بحقه الشيخ الآخوند صاحب الكفاية: «**فإنّ جانب العالم العلامة والكامل البر الفهّامة الشيخ يوسف الفقيه العاملي قد جدّ في طلب العلم فنال منه الغرض الأقصى، وكدّ في تحصيل الكمال فاستولى منه على المطلب الأسنى، فأصبح بحمد الله عالماً، محقّقاً، فاضلاً مدققاً، مجتهداً، مُطلقاً، يُرجَع إليه في حل المشكلات، ويُعتمد عليه في فصل الخصومات**» إلخ...

نشأ الشيخ يوسف نجل الشيخ علي الفقيه في هذا البيت العلمي فاستفاد من والده كثيراً ولم يقتصر على الدراسة الحوزوية التقليدية التي اعتاد عليها طلاب العلوم الدينية وبالأخص أبناء العلماء الذين توجهوا مباشرة إلى الحوزات العلمية، فانتسب الشيخ يوسف إلى المدرسة العصرية الإبتدائية في قرية (حاريص) وبعد ذلك انتقل إلى الثانوية الجعفرية وأنهى دراسته فيها وكان مميزاً من بين الطلاب، وفي سنة ١٩٥٩م قرّر ترك جبل عامل والذهاب إلى النجف الأشرف للتفرّغ بالكامل للتحصيل والدراسة.

لم يكن الوقت ليذهب هدراً عند الشيخ يوسف، بل كان يعمل حساباً للدقيقة الواحدة، فمنذ لحظة وصوله إلى النجف قرّر المضي قدماً في التحصيل وكان يُسابق الزمن.

أهمّ أساتذته في النجف الأشرف:

- أخوه العلامة الحجة الشيخ مفيد الفقيه.
- العلامة الحجة الشيخ محمد تقي الجواهري.
- العلامة السيد كاظم الشيرازي.
- العلامة السيد محي الدين الغريفي.
- العلامة الشيخ محمد تقي الأيرواني.
- المرجع الديني السيد أبو القاسم الخوئي.
- المرجع الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر.

ولعلّ الميزة في علاقته بالأساتذة كانت مع أستاذه الشهيد السيد محمد باقر الصدر، فكان الشيخ يوسف يرى في السيد الشهيد أمل المستقبل وأنه العالم الجامع لمختلف العلوم والفنون وأنه المرجع

الذي يحمل مواصفات يتمنّى أن يكون في عصره كل مسلم، ومرجعيتّه هي المرجعية الرشيدة التي يكون فيها المرجع القائد المنظّر والموجّه في نفس الوقت المتابع لتفاصيل شؤون المسلمين من دون تكلّف ولا تقية معهم، وكان يُشخّص لهم المصالح والمفاسد، هذا ناهيك عن تصديه للنظام البعثي الكافر ووقوفه إلى جنب الإمام الخميني قدس سره، وتخلّيه عن مقام المرجعية المفروضة عليه لصالح الشأن العام، وإعلانه أنه جندي مطيع في حكومة الإمام السيد الخميني قدس سره فقال: «**ذوبوا في الإمام الخميني كما ذاب هو في الإسلام**».

هذا الإنصهار بطريق الحق والولاية لا يلتزم بها إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان وأخرج حب الدنيا بالكامل من قلبه، فأحيى قلبه بنور العلم والمعرفة وبصّره بالدين فقرّبه وناجاه.

دراسة الشيخ يوسف على السيد الصدر: هناك الكثير من الطلاب الذين حضروا درس السيد الشهيد ولا شكّ أنهم استفادوا من علمه ومن سلوكه، إلّا أنّ بعض التلاميذ كانت لهم علاقة مميزة بالسيد الصدر، لِما كان يرى فيهم أمله بأن يكونوا قادة المستقبل بما منحهم الله تعالى من المواهب والإمكانيات العقلية، فانصهروا بأستاذهم بطريقة مختلفة عن بقية الطلاب الذين اختلفت قابلياتهم واستعداداتهم، فهناك نخبة من هؤلاء الطلاب أمثال السيد محمود الهاشمي والشيخ يوسف الفقيه والسيد كاظم الحائري والشهيد السيد محمد باقر الحكيم وغيرهم، ولست الآن بصدد القيام بعملية إحصائية أو أنّني أريد أن أستثني أحداً إنما ما ذكرت هو على سبيل المثال لا الحصر.

كان السيد الصدر يرى في بعض طلابه أنّهم قادة الحوزة العلمية وأساتذتها وقادة الفكر والعمل في المستقبل من الأيام، وهذا ما ظهر من خلال علاقته المميزة معهم، والتي فرضت نفسها على السيد الصدر، من دون أن يُميّز السيد الصدر إبتداءاً بين شخص وآخر، بل هي حالة تفاعل مع النتاج العلمي والفكري والقابليات التي ظهرت عليهم، فكما قرّروا أبحاثه في الأصول والفقه كذلك شاركوه في نتاجه الفكري، فعندما صنّف كتاب (الأسس المنطقية للإستقراء) إنتدب السيد الشهيد المرحوم الشيخ يوسف الفقيه ليذهب إلى مصر لمناقشة هذا الكتاب مع وزارة الثقافة المصرية ممثلة بالفيلسوف (زكي نجيب محمود) واعتمدته جامعة (عين شمس)، كما جرت مناقشة الكتاب في مجلس الشعب بحضور الكتّاب والأدباء المصريّين والعرب وعلى أثرها منحت الجامعة الشيخ يوسف الفقيه (دكتوراه فخرية).

كما لازم الشيخ يوسف الفقيه المرجع الديني السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره، حيث كان يدرّس قبل الظهر في مسجد (الخضراء) الملاصق للصحن الشريف وكان السيد الخوئي يقيم فيه صلاة الجماعة وبعد رحيله دفن في جانب من المسجد المطلّ على الصحن الشريف. ومضافاً لاهتمام الشيخ يوسف الشديد بجانب الفقه والأصول في الحوزة العلمية في النجف، إلا أنه قدس سره كان يرى ضرورة أن يتصدّى

رجل الدين للأمور المعاصرة وينشئ علاقة مميزة مع الجامعات لأنّ أي عملية تغيير بالمجتمع تقوم على ثلاثة عناصر الحوزة والجامعة والبازار، وعندما يتخلّف فريق من هؤلاء عن تحمّل المسؤولية فسوف تفشل العملية السياسية أو الجهادية أو المعارضة إلخ، وهذا ما شاهدناه في الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني قدس سره، وتجربة المقاومة الإسلامية في لبنان.

فانتسب الشيخ يوسف إلى (كلية الفقه) وأصبح أحد أساتذتها، ومن ثم انتدبته وزارة التعليم العالي من خلال عميد كلية الفقه ليكون أستاذاً في الجامعة وذلك سنة ١٩٧٥م، وكان له مشاركات علمية ومحاضرات في جامعات مختلفة من بغداد ومراكش.

وهذا مؤشّر إلى ذهنية الشيخ يوسف الفقيه وإلى الدور الذي كان يحضّر شخصيته له، ومنه يظهر مدى تأثّره بشخصية السيد الشهيد الذي كان يرى ضرورة أن تبدّل الحوزة العلمية من طريقة تفكيرها وانفتاحها على ساحات واسعة من أهل الفكر والثقافة.

بعض أحواله: وجدتُ بعض الصعوبة وأنا أكتب عن هذه الشخصية مع معرفتي الشخصية به، لأنني أفتقد لبعض التفاصيل التي نحتاجها في تثبيت بعض الوقائع، علّنا نحصل عليها إن شاء الله في المستقبل.

وسأروي قصّةً حدثت معي تحاكي شخصية المرحوم الشيخ يوسف العلمية وتحمُّله المسؤولية تجاه الطلاب في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف ففي سنة ١٩٧٩م ذهبت إلى منزل السيد محمد باقر الصدر لأقدّم إمتحاناً في الدروس التي كنا ندرس بها (اللمعة الدمشقية وأصول الفقه) كون السيد الشهيد لا يعطي الطالب مخصّصاً شهرياً من دون إمتحان، وإذا بي أجد المعتمد عند السيد لامتحان الطلاب الشيخ يوسف الفقيه، وكان معي في الإمتحان أخوين من الطلبة أحدهما من أرحام الشيخ يوسف والثاني صديق، وأنا بسرعة قدّمت الأوراق للشيخ يوسف وخرجت، وعلى ما يظهر فإن الأخوين استمرا طويلاً لأنّ همّهما كان الإتيان بدرجة، وفي اليوم الثاني إلتقيت بالشيخ يوسف بالصحن الشريف فقال لي: أهنّئك على ذهنك وعلى ذكائك وعلى فهمك والتفت لنفسك فلك مستقبل، أنا شكرته بعد أن ظهر مني الحياء من هذا الكلام، وبالتأكيد فإنّ الأخوين جاءا بدرجة متفوقة عني إلا أن الشيخ يوسف لم يكن هذا معياره، كان يقيس عامل الوقت والسرعة المذهلة على الإجابة ولربما أموراً أخرى متعلقة بالإجابة على الأسئلة.

صحيح أنها قصة طويلة على القارئ، لكنها تضيء على شخصية الشيخ يوسف وطريقة تربيته للطلاب وحرصه على طلاب الحوزة العلمية واهتمامه الشديد بأن يكون هناك جيل من أهل العلم يمتاز بفهمه وذكائه وبحضوره.

كان رحمه الله يتحمّل مسؤولية تجاه ما يجري، فكان يرى في الثورة الإسلامية الأمل لمستقبل زاهر لهذه المنطقة وخصوصاً بعدما فقدت الحوزة العلمية والعراق ذلك القائد الفذ السيد محمد باقر الصدر في نيسان ١٩٨٠م.

وينقل أحد العلماء رحمه الله أنه التقى بالشيخ يوسف الفقيه وكان يناقشه في أهمية دور الإمام الخميني ومكانة الجمهورية الإسلامية في الوقت الذي كانت الصورة مشوشة عند ذلك العالم الفاضل.

كان الشيخ يوسف يمتلك قدرة التأثير في الآخرين، وهذه ميزة إضافية وعليها العديد من الشواهد التي لا يتّسع المجال لذكرها.

كان أيضاً يتطلّع إلى يوم ليس فيه إسرائيل، وكان بطبعه يميل نحو العمل الجهادي المباشر، حتى أنّه ذات يوم اشترى له والده (بندقية صيد مكافأة على نجاحه)، وإذا به يفتقده وبعد البحث عنه وجدوه بعد ثلاثة أيام ذاهباً مع بعض رفاقه إلى الحدود مع فلسطين لمواجهة العدو الإسرائيلي وذلك سنة ١٩٥٨م وله من العمر ثلاث عشرة سنة.

كانت له علاقة مع المجاهدين العراقيين وهذا يحتاج إلى مزيد من البحث والتدقيق، وكان يحمل روح وحسّ المسؤولية التي تفرض عليه أن يكون في سوح الجهاد والنضال، وسمعت أنه كان له دورٌ في مواجهة الإسرائيلي في خلدة عند اجتياحه لبنان سنة ١٩٨٢م.

تزوج الشيخ يوسف من كريمة العلامة الشيخ أحمد قصير رحمه الله وهذا ما هو موجود بخط والده الشيخ علي فقال: «**قد عزمنا بعد الإتكال على الله تعالى على تزويج ولدنا يوسف الفقيه من كريمة العلامة الشيخ أحمد قصير**».

وذلك يوم الخميس الواقع في ١٨ جمادى الأولى ١٣٨٤هـ، الموافق ٢٤ أيول ١٩٦٤م وبحضوركم يتم سرورنا.

على الفقيه

الزمان: الساعة الثالثة بعد الظهر

المكان: دير قانون النهر

عاد من النجف الأشرف سنة ١٩٨٠م على أثر اعتقال السيد الصدر، فسكن في (الشياح) من الضاحية الجنوبية وكان يعمل مع الناس بالتبليغ الديني، يحثّهم على الإلتزام والجهاد وكان يعلّمهم الأحكام الشرعية.

في ذلك الوقت كان الشيخ يوسف ينتظر العودة للعراق إلى النجف الأشرف لاستكمال الدور الذي كان ينتظره، ولكنه لم يجلس في بيته وينتظر، بل كان يعمل في ساحات مختلفة من التبليغ الديني، إلى الحث على الجهاد، إلى تدريس الطلاب، وأيضاً المشاركة بالشأن الفكري، فكان عضواً في المؤتمر الإسلامي الذي شارك فيه أكثر من مرة، في أيلول سنة ١٩٨٣م، فقرّر أن ينعقد المؤتمر في (سيراليون) فسافر للمشاركة هناك وتعرّض إلى حادث سير مؤسف، لم يكن مفهوماً ذلك الحادث وبقيت تفاصيله غامضة من دون أن يتولّى أحد في ذلك الزمن التحقيق الجدي في الموضوع، فبقي أجره على الله تعالى فانتقل إلى جوار ربه في ٦ آب ١٩٨٣م.

عاد الجثمان الطاهر إلى لبنان وتمّ له استقبال حاشد ونقل إلى جبل عامل وتمّ تشييعه ودفنه في قرية (حاريص).

وأقيم له ذكرى الأسبوع في النادي الحسيني لبلدته حاريص نهار يوم الجمعة الواقع في ١٠ ذي القعدة ١٤٠٣هـ، الموافق ١٩ آب ١٩٨٣م، ألقي فيها كلمات وقصائد.

نظّمت جمعية الإمام الصادق عليه السلام لإحياء التراث العلمائي ندوة فكرية تحت عنوان

«المدرسة الدينية في أنصار وعصر النهضة العلمية»

(العلامة الشيخ خليل آل كوثراني أحد روّادها)

عالجت الندوة محورين:

المحور الأول: مدرسة أنصار الدينية منارة عصر النهضة عالجه عضو المجلس المركزي في حزب الله سماحة الشيخ حسن بغدادي.

وممّا قاله: لا شكَّ أنّ المدارس الدينية في جبل عامل وعلى اختلاف حضورها وحجمها شكّلت بمجموعها نهضة جبل عامل العلمية والأدبية والإقتصادية، ووفّرت الطمأنينة للمجتمع العاملي.

فلولا العلماء والمدارس لما كان هناك جبل عامل، ولما كُنّا نحن اليوم بهذا الحجم والحضور، خصوصاً أمام العواصف الكبرى التي عصفت بالمنطقة، وأطاحت عروشاً كان من الصعب إزالتها، إبتداءً من الصليبيين الذين بقوا زهاء قرنين من الزمن إلى المماليك ثمَّ العهد العثماني الذي بدأ بعد معركة

(مرج دابق) سنة ١٥١٦م نتيجة الخيانة التي حدثت، وليس الآن وقتُ الحديث عنها، واستمرّ هذا الحضور المشؤوم إلى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م التي أنتجت مجيء الإنتداب الفرنسي إلى سوريا ولبنان، والإنكليزي إلى العراق وفلسطين.

ولعلّ الكلام عن تلك المحطات والآلام التي رافقتها ونحن نجلس في هذه القاعة أمر سهل وبسيط، كما قال الشاعر:

يا بن الكرام ألا تَدنُو فَتُبْصِرَ ما
قد حَدثُوكَ فَمَا راءٍ كمن سَمِعَا

أمام تلك الأحداث والمؤامرات الكبرى، لولا وجود العلماء والمدارس الدينية وشجاعة بعض الأمراء وتضحية الكثير من الناس، لما تخطّينا تلك العقبات، ولما حافظنا على اللغة والهوية، ولما بقي مجتمعنا موالٍ ومحباً لأهل البيت عليهم السلام.

بل أكثر من ذلك لم يكن دور جبل عامل محصوراً بالمحافظة على وجوده، بل كان محطة تنير درب الآخرين وتنصر المظلومين وتبني أمجاداً، من سوريا إلى العراق ومكة المكرّمة وإيران وصولاً إلى (الهند)، وما يجري في المنطقة اليوم هو خيرُ شاهدٍ على ما نقول.

من هذه المدارس: مدرسة أنصار الدينية التي أسّسها المقدّس الشيخ سلمان العسيلي من قرية (رشاف) في جبل عامل، ثم نهض بها صهره العلامة السيد حسن إبراهيم.

في البداية سكن الشيخ سلمان (رشاف) بعدما عاد

من العراق سنة ١٢٧٠هـ كما قال زميله الشيخ محمد علي عز الدين صاحب مدرسة (حناويه).

في ذلك الوقت كان قد توفي العلامة الشيخ مهدي مغنية صاحب مدرسة (طيردبا) والتي ساهمت في إعادة الحياة العلمية إلى جبل عامل.

ولما لم يتمكّن نجله الشيخ محمد (صاحب جواهر الحكم) من التفرّغ لطلب العلم نتيجة كثرة العيال وإدارة شؤون الأرض، فقرّر مع أخيه الشيخ حسن أن يُعيدا مدرسة أبيهما الشيخ مهدي، فقررا دعوة الشيخ سلمان العسيلي من (رشاف) ليدرّس الطلاب ويُشرف عليها.

وفي سنة ١٢٧٧هـ: قام وفد من أهالي أنصار بالطلب إلى الشيخ سلمان العسيلي بالحضور إليهم ليكون مرشداً لهم وبالفعل شيّد مدرسة وتوفي في أنصار سنة ١٢٩٠هـ.

في تلك الفترة كان يسكن في بلدة (النميرية) العلامة المقدّس السيد حسن إبراهيم الذي ولد في حدود سنة ١٢٤٧هـ وتوفي في أنصار سنة ١٣٢٩هـ حيث كان قد تخرّج من النجف على بعض الأساطين ومنهم أستاذ الفقهاء الشيخ مرتضى الأنصاري، وكان قد صاهر الشيخ سلمان العسيلي على كريمته الوحيدة.

وبعد وفاة الشيخ سلمان دعاه أهالي أنصار ليكون مكان عمّه في إمامة البلدة والإستمرار بهذه المدرسة التي استطاع أن يُضفي عليها نكهة خاصة، لما تميّزت به شخصية السيد حسن العلمية والسلوكية.

فالسيد الأمين ينقل أنه زاره وقد تجاوز الثمانين

وكان يميل للعزلة.

طبعاً العزلة عند الكثير من العلماء كانت بمعنى عدم الإسراف بالعلاقة مع الناس، وإنما الإقتصار على الضرورة من (وعظ، وإرشاد، وإصلاح ذات البين إلخ...) والباقي من الوقت كان للعبادة والتصنيف.

ويضيف السيد الأمين أنه زاره أحد الرجال من أنصار وقدم له السيد وسادة، فرفضها فقال له السيد حسن: «**إنّ حديث لا يأبى الكرامة إلّا لئيم وارد في الوسادة**».

إنضمَّ إلى هذه المدرسة طلبة كثيرون منهم أخوه السيد محمد، وكان عالماً فاضلاً له الفضل على مدرسة أنصار والنبطية، الذين نهضوا بالمشروع الأدبي واللغوي، وأيضاً نجلاه السيد مهدي والسيد محمد، والشيخ أحمد عبد المطلب مروة، والشيخ باقر بن الشيخ الحافظ محمد حسين مروة، والشيخ طالب سليمان البياضي، والشيخ حسن إبن الشيخ محمد علي القبيسي، والشيخ سليمان ظاهر والشيخ خليل آل كوثراني الذي نلتقي بسببه هذه الليلة.

هذه المدرسة تقاطع قسم من طلابها بحضورهم مع مدرسة النبطية التي أسّسها العلامة السيد حسن يوسف مكّي سنة ١٣٠٩هـ بعدما عاد من العراق وسكن النبطية بدعوة من أهلها.

طلاب هاتين المدرستين نهضوا ليواجهوا الإنحراف الفكري والثقافي والبغي المستمرّ على أهلنا من العثمانيين، وما نتج من تداعيات نهاية هذا الحكم، والذي أعقبه الإحتلال الفرنسي الذي لم يُقصّر من النيل من كرامة أهلنا ومن لقمة عيشهم، مضافاً للفتن التي زرعها بينهم وبين النصارى مستفيداً من بعض العملاء المسيحيين، فكان هناك خطر على اللغة وعلى الهوية، وكان لا بُدّ من المواجهة. وقد اعتبر الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر وغيرهما من العلماء أنّ العلم والتربية هما شرطان أساسيان لأية نهضة وللمحافظة على الهوية.

لهذا عملوا على نشر الأدب والشعر وتشييد المدارس العصرية، مضافاً لمجلة العرفان لصاحبها الشيخ أحمد عارف الزين، وأصبحوا أعضاء في المجمع العلمي العربي بدمشق وصنّفوا قواميس في اللغة وواجهوا كلّ هذا الإنحراف بمختلف الوسائل.

نحن لم نطّلع على ما قام به علماء تلك المرحلة بالتفصيل ولكن من خلال الإنجازات التي وصلتنا عن بعض علماء تلك المرحلة، نستدلّ على نمط عمل علمائنا آنذاك.

فالسيد حسن إبراهيم كان أحد أعمدة جبل عامل على الصعيد العلمي والإجتماعي وكان الناس يتباركون به، وطلابه كانوا ضمن هذا السياق في مدرستي النميرية وأنصار، فعلى سبيل المثال أخوه السيد محمد الذي درس عليه، كان أحد الأساتذة الأساسيين في مدرستي النبطية وحانويه.

ولعلّ ميزة مدرسة السيد حسن إبراهيم في أنصار ومدرسة السيد حسن يوسف مكي في النبطية أنّ قسماً من الطلاب كانوا في المدرستين، ولم يذهبوا إلى النجف الأشرف لاستكمال التحصيل بل اكتفوا

بما حصّلوا في هاتين المدرستين، وانخرطوا سريعاً بالمشروع الإصلاحي إلى جنب العلماء الكبار والأعيان في جبل عامل. علماء تلك المرحلة واجهوا الظلم العثماني والفرنسي، ولم يتركوا فرصة لمواجهة هذا الظلم إلّا واستفادوا منها، حتى ولو عرّضتهم للمخاطر.

فعلى سبيل المثال: في سنة ١٩٠٨م أزيح السلطان عبد الحميد، وقامت (جمعية الإتحاد والترقي) باستلام زمام الأمور، وصار القرار أن يكون هناك فروع لهذه الجمعية في كلّ المناطق، وفي جبل عامل، ولم يكن المشايخ والعلماء بعيدين عن ملاقات أية حركة إصلاحية في منتصف الطريق ولهذا انبرى طلاب مدرسة السيد حسن إبراهيم والسيد حسن يوسف مكي إلى إقامة فرع في النبطية ولكن سرعان ما اكْتُشِفَ زيف هذه الحركة فاضطر الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر ومعهم آخرون كالمؤرّخ محمد جابر صفا إلى الإبراق عبر الصحف العربية أنّهم استقالوا من هذا العمل المشبوه، وخرج العامليّون بشكل عام من هذه الجمعية.

وبعد الإستقالة لم يجلسوا في بيوتهم وإنما انخرطوا للمشاركة في مؤتمر باريس سنة ١٩١٣م قبل الحرب العالمية الأولى بسنة.

وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م، اتحدت جمعية الثورة العربية مع الجمعية اللامركزية بهدف الوصول إلى (الإستقلال) الحقيقي والتخلص من السياسة العثمانية، واكتشف أمرها وساقوا قادتها إلى المحكمة في عاليه وعُلّقت المشانق ونجا المشايخ

ظاهر ورضا ومحمد جابر بأعجوبة.

أيضاً بعد نهاية الحكم العثماني وقيام الإنتداب الفرنسي لم يستسلم علماء جبل عامل فلم يكن الإحتلال الفرنسي مرحّباً به في جبل عامل.

وهنا أستطيع أن ألخّص بعض ما قاموا به:

- الوعظ والإرشاد وإحياء المناسبات الدينية وتثبيت الناس على دينهم.

- مواجهة الأميّة المتفشّية لأن الجهل هو أساس

كل علّة، فعملوا على نشر الثقافة والأدب وتشييد بعض المدارس العصرية.

– مواجهة ثقافة الغرب المستوردة، وهذا كان يقابله الحرص على تحصين اللغة العربية ونشر الأدب والشعر والعادات والتقاليد فصنعوا بعض القواميس وكان البعض أعضاءً في المجمع العلمي العربي بدمشق.

– العمل بقوة للمحافظة على الهوية التي ننتمي إليها، وهذا يحتاج إلى بذل جهود جبّارة وعلى رأسها إنشاء المدارس الدينية التي تشكّل ضمانة المحافظة على الهوية والوجود.

– ومن المفارقة أنّ أهمية المدارس الدينية ظهرت أيضاً من خلال حاجة الأعداء إليها عندما اقتضت مصلحتهم السياسية ذلك، فعندما كانوا يستهدفون المنطقة بشكل وجودي، كانوا يستهدفون المدارس والعلماء، كما حدث أيام الجزّار أو في نهاية الحكم العثماني مع السفّاح جمال باشا، وعندما كانوا يريدون الهدوء وأصبحت مصلحتهم تقتضي ذلك نراهم يعملون على إعادة الحياة العلمية إلى شكلها الطبيعي وكانوا يطلبون ذلك من العلماء.

كما عَمِلَ طلاب تلك المرحلة على توحيد المذاهب الإسلامية، والوحدة الوطنية مع النصارى في لبنان.

في الختام:

أيها الأعزّاء نحن مدينون اليوم لأولئك الأعلام على جهودهم التي بذلوها كي نبقى أعزّاء ملتزمين بديننا وبحقنا، حق الدفاع عن مقدّساتنا وعن كراماتنا، وهذا العالم المستكبر والمنافق لم يملّ ولم يتراجع عن أطماعه في ثرواتنا والنيل من إسلامنا، ونحن أيضاً لن نتراجع ولن نملّ من مواجهته، مهما طال الزمن، وهذا الطريق هو أقلّ الخسائر الممكنة.

اليومَ مع الأسفَ الكلام الطيب وتسجيل المواقف وإن كان لا ينفع إلّا أنّـه لا بُدَّ منه ولو من باب إلقاء الحجة.

بالأمس تحدث سماحة الأمين العام بشكل منطقي وعلمي وبدل من أن تتمّ مناقشة هذا الخطاب بشكل علمي جاء الرد سريعاً أنّنا مع الخليج فهم قدّموا لنا كلّ خير، أمّا أنتم أتباع إيران لم تقدّموا لنا سوى الحروب والدمار!

هذا النوع من الكلام لا يستحقّ الرد، ومن المعيب أن يرد عليه أحد، فأمرٌ طبيعي أن نسمع هذا الكلام من أشخاص لم تكن إسرائيل عدواً لهم في يوم من الأيام.

وكما صبرنا وانتصرنا على كل الطواغيت عبر مئات من القرون، ومنهم الإحتلال الإسرائيلي الذي هو أعتى الإحتلالات في المنطقة، سننتصر على الإرهاب التكفيري.

الحلّ في المنطقة هو أن يتراجع بعض قادة هذه الأنظمة عن استمرارهم في مواجهة خيار الشعوب التي لم ترَ مصلحتها مع الأمريكيين والإسرائيليين، وما نشهده في العراق وسوريا واليمن اليوم من مواجهة للعدو التكفيري هو خيار داخلي وليس تدخلاً خارجياً مفروضاً عليهم، كما يحلو للبعض أن يصوره.

وهذا البعض يحاول أن يعود إلى الوراء ويسير عكس عجلة الزمن فيعود إلى تقسيمات المنطقة في الحقبة المنصرمة من العهدين العثماني والصفوي ويسقطها على الأحداث الحالية دون الأخذ بالتغيرات والتحولات في المنطقة. فاليوم، العثماني بات غير موجود ولا أحد قادر على أن يعيده إلى دوره الذي كان عليه في السابق سواء أكان أردوغان أو أجداده، وأما إيران اليوم فهي تفكر بطريقة مختلفة ومغايرة عما كانت عليه أيام الملوك الصفويين، فطهران اليوم حكمها من الإمام الخميني قدس الله سره الذي هو أحد مراجع المسلمين وخَلَفَهُ الإمام القائد السيد الخامنئي الذي يحمل نفس العقلية والذهنية المنفتحة، وإيران اليوم على المستوى الفكري والعقائدي والسياسي تختلف عن الماضي، إذاً لما كل هذه المهاترات الفارغة التي تضحكون بها على الناس وعلى أنفسكم؟!

المحور الثاني: دور الشيخ خليل الكوثراني وذريته في الحياة العلمية الثانية لجبل عامل عالجه: سماحة القاضي الشيخ جعفر كوثراني.

وممّا جاء في كلمته: الحمد لله الذي رفع قدر العلماء وفضّل مدادهم على دماء الشهداء والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد وآله النجباء بحور العلم الزاخرة وفلك النجاة واللعن على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

وبعد، السلام عليكم...

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾**

وروى الشهيد الأول رحمه الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**العلم وديعة الله في أرضه والعلماء أمناؤه عليه...**»

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «**العلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة**».

وجاء في رسالة الحقوق لسيدنا ومولانا الإمام علي

بن الحسين زين العابدين وسيد السجّادين عليه السلام أنّه قال: «**وحق أبيك أن تعلم أنه أصلك وأنك فرعه وأنك لولاه لم تكن فمهما رأيت في نفسك ما يعجبك فاعلم أنّ أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك ولا قوة إلّا بالله**».

فتارة يكون الشخص مسبباً مباشرة في الحياة العلمية وأخرى سبباً أول متقدماً رتبةً وزماناً.

العالم التقي الورع الشيخ خليل بن الشيخ محمد باقر إبن الشيخ صالح بن منصور الكوثراني الذي هو النموذج والمحور بهذه الندوة، دخل في سلك العلم الديني وانقطع للعلم، والتبليغ الديني، ويبدو أنه انتقل إلى بلدة أنصار العاملية للإلتحاق بمدرستها الدينية وأتمّ فيها تحصيله العلمي وذلك في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي أواخر القرن الثالث عشر للهجرة تقريباً. وكان أحد أعلام حوزة أنصار المرموقين. لذلك استبقاه أهل أنصار ليكون عالماً دينياً في تلك المرحلة فيقوم بتكليف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر العلم والمعرفة آنذاك وإرشاد الناس ووعظهم وتوجههم لما ينفعهم، وقد حرص الشيخ خليل رحمه الله على استمرار العلم في ذريته فربّى أبناءاً علماء وهم الشيخ جواد والشيخ حسين وأخيراً الشيخ زين العابدين رحمهم الله جميعاً.

كما وكان له ولده الأكبر إبراهيم، الذي قتل في الحرب العالمية الأولى في التجنيد العثماني الإجباري، وشاءت العناية الإلهية أن تحمل وديعة العلم ذريته إن لا يخفى أن آل كوثراني من الأسر العلمية القديمة، وهنا لا بدّ أن أنوّه بأنه رحلة العلم مع هذه الأسرة العلمية كانت على يد مؤسّسها الأقدم الشيخ جمال الدين أحمد بن إبراهيم بن الحسين الكوثراني العاملي وهو من تلامذة الشهيد الأول كما ينقل السيد حسن الصدر في مستدركه تكملة أمل الآمل ويضيف وصفه الشهيد في إجازته له: «**الشيخ الفقيه الزاهد العابد**» وتابع الإجازة هو سنة سبع وخمسين وسبعماية عند قراءته عليه علل الشرائع للشيخ الصدوق هو وجماعة من أقرانه ص ٩١-٩٢، ثم استمر طريق العلم لدى بعض أفراد هذه الأسرة فظهر أمثال الشيخ منصور ثم الشيخ صالح والشيخ علي إلى أن وصل الأمر إلى الشيخ خليل موضوع ندوتنا هذه وانتقلت وديعة العلم إلى ذرية الشيخ خليل وهكذا كان.

وقد استمر طريق العلم مع ذريته فأعقب ولد الشيخ حسين ذرية صالحة فرض منها العلماء والصلحاء أمثال والدنا العلامة المقدّس الشيخ محمد كوثراني والمتفقّه عمّنا الشيخ خليل ثم ظهر من ولده المتفقه الصالح الورع الزاهد الشيخ زين العابدين كوثراني حفيده العالم الفاضل الشيخ عامر إبن الأستاذ عبد العزيز.

قال عنه السيد حسن الصدر في التكملة ص ٣٠١: «**الشيخ علي بن صالح بن منصور العاملي الكوثراني نزيل النجف عالم عامل فاضل كامل فقيه أصولي من تلامذة السيد المحقّق العلامة السيد محسن الأعرجي**».

كان حيّاً في سنة ست وتسعين ومائة بعد الألف ١١٩٦هـ (صاحب فضل آنذاك).

دور الشيخ خليل وذريته في الحياة العلمية الثانية لجبل عامل:

إنّ دور الجد الأعلى الشيخ خليل رضوان الله تعالى عليه تجلّى في ثمرات العلم وهي العمل والتطبيق وتربية الأجيال من خلال السيرة العلمية الذاتية الطيبة امتثالاً لقوله تعالى «**وَلَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**» واقتداءً (ره) بالنبي الأعظم محمد ﷺ وبأهل بيته الأئمة الميامين عليهم السلام آلَ على نفسه أن يقوم بامتثال أوامر الله وترك النواهي ومجاهدة النفس التي هي أعظم الجهاد المسمّى بالجهاد الأكبر وامتثالاً لقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾.

ولذا كما هو مسموع ومشهور من أحواله فيما نقل الكثير من مسنّي الأسرة وأهل المنطقة بوسائط النقل الموثوقة أن المعروف من حالاته رحمه الله الزهد والتواضع ونكران الذات وعلو الهمّة والإنقطاع إلى العلم فآثر أن يعيش بمنأى عن قومه وعشيرته آنذاك حبّاً للعلم وللتفرّغ له إلى أن كان عاملاً في حقل المجتمع بالوعظ والإرشاد والتوجيه وتعليم الناس الحلال والحرام.

ولم يهمل أمر أسرته وتربية جيل صالح من أبنائه وتوجيههم نحو سلوك طريق العلم الديني فنبغ من بين أولاده الشيخ جواد الكوثراني الذي قطن (الصرفند) فقام فيها بالمهام الدينية والاجتماعية التي اعتاد العلماء القيام بها فكان له دور مشعّ في الوعظ والإرشاد وتخريج جيل واع، والشيخ حسين الذي نال رتبة الإجتهاد وتزكية النفس، وعمنا الشيخ زين العابدين الزاهد العابد المتفقه الذي لم يدرك أباه في سن بلوغه بل عاش يتيماً بعض سني حياته إلى كنف أخيه الأكبر الشيخ جواد الذي وجّهه نحو الخير والصلاح فكان معلّماً للقرآن وصار محط أنظار المؤمنين في الرُقْيَة والتبرّك وطلب الدعاء.

وما أحببت إيراده هنا أنّ النهضة العلمية والحياة العلمية لا تقوم على تأليف الكتب أو تصنيف العلوم فحسب، بل هذا هو نتيجة جو علمي في المجتمع نتيجة وعي الناس فاحتاجوا إلى التصانيف والتآليف لإقبالهم على العلم بعد تلقينهم حب المعرفة والإطلاع وهذا الأمر نتيجة علمية لما قام به المبلّغون والمرشدون الدينيون لأبناء بلدانهم ومحيطهم الذي عاشوا فيه.

ومثل هذا الدور قد قام به الشيخ خليل رحمه الله وأقرانه آنذاك رغم صعوبة المرحلة والظرف الذي عاشوا فيه إبان الحقبة العثمانية المستعمرة التي كادت أن تقضي على المجتمع العاملي لكن الله حماه وسلّمه بسبب جهود الشيخ وأمثاله آنذاك بعد معاناة طويلة ليس المقام محلّاً لتفصيله، وأمثال تلك الجهود يعود لها الفضل في حفظ التشيّع وتثبيته في جبل عامل.

إلتقى م- الملف العديد من الشخصيات العلمائية والفكرية من مختلف المناطق، وذلك في مقر جمعية الإمام الصادق عليه السلام في بلدة أنصار الجنوبية.

سأله عن السبب من زواجه منها مع أنها لا تناسبه؟ فأجاب: لي ولد منها سيولد إسمه (علي)

إنه السيد رضا إبن السيد حسن الموسوي العاملي (عيناثا) من علماء القرن الثالث عشر هـ.

كان يسكن في (الكاظمية من بغداد) مجاوراً الإمامين موسى الكاظم وحفيده محمد الجواد عليهما السلام، وشأنه بهذا شأن بعض العلماء الذين لم يرجعوا إلى بلادهم واستمروا في تلك البلاد، بسبب إنشائهم لعلاقات إجتماعية أو إرتباط حوزوي، وبالتالي كانوا يرون المصلحة في البقاء وإلا فالأصل كان عند جُلّ العلماء هو العودة إلى لبنان.

ينقل السيد الصدر أن السيد رضا كان عالماً جليلاً برّاً تقياً ومن عباد الله الصالحين وكانت تنقل عنه كرامات وبشارات، حتى روي عن لقائه الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف في مكّة المكرمة وتحدّث إليه ولكن لم يعرفه حتى فارقه.

ومن جملة كراماته، بعد أن توفيت زوجته، أقدم على الزواج من إمرأة لها أولاد كبار وشارفت على سن اليأس وتكاد لا تبصر فعاتبه بعض أصدقائه على هذا الإختيار قائلاً له: **«أنت سيد كامل ولا ينقصك شيئاً، فلماذا هذا الإختيار مع وجود الوفرة من النساء اللواتي يناسبنك؟»**، فردّ عليه السيد رضا قائلاً: **«إن الله تعالى سيرزقني منها ولداً واسمه (علي)، وبعد أن تُنجب لي هذا الولد، سأتركها ولن يعود لي علاقة بها»**.

وكان السيد رضا كثير الذكر لصاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف حتى أنه اشترى سيفاً ليجاهد به بين يدي الإمام عليه السلام، كما كان مستجاب الدعوة، والناس ينذرون له لقضاء حوائجهم، وتوفي سنة ١٢٩٠هـ عن عمر طويل ودفن بداره في الكاظمية بوصية منه على ما يظهر، وأمّا نجله السيد علي فكان من السادات الأجلّاء ومن أهل العلم وله وجاهة عند الناس وقام مقام أبيه وتوفي سنة ١٣٢٠هـ ودفن إلى جوار والده.